سـورة النجم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة السورة

مكية كلهـا في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجـابر. وقال ابن عباس وقتـادة: إلا آية منها وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [النجم: ٣٢] الآية. وقيل: اثنتان وستون آية. وقيل: إن السورة كلها مدنية. والصحيح أنها مكيـة لما روى ابن مسعود أنه قال: هي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة (١). وفي البخاري عن ابـن عباس أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجـد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس (٢)، وعن عبد الله أن النبي ﷺ قرأ «سورة النجم» فسجـد لها، فما بقي أحد من القـوم إلا سجد؛ فأخـذ رجل من القوم كفـا من حصباء أو تراب فـرفعه إلى وجهـه وقال: يكفيني هذا. قـال عبد الله: فلقد رأيتـه بعد قتل كافرا، مـتفق عليه. الرجل يقـال له: أمية بن خلف (٣). وفي «الصحيحين» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قرأ على النبي ﷺ سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فلم يسجد (٤). وقد مضى في آخر «الأعراف» القول في هذا (٥)، والحمد لله.

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾

قوله تـعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال ابن عـباس ومجـاهد: معنى ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ والثريا إذا سقطت مع الفجر (٦)؛ والعرب تسمي الثُّريا نجما وإن كانت في العدد نجوما؛ يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم. وفي« الشفا » للقاضي عياض: أن النبي ﷺ كان يرى في الثُّريا أحد عشر نجما (٧). وعن مجاهد أيضا: أن المعنى والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل

(١) صحيح: انظر التالي وما بعده.
(٢) صحيح: البخاري (١٠٧١) في سجود القرآن، والترمذي (٥٧٥) في الصلاة.
(٣) متفق عليه: البخاري (١٠٦٧) في سجود القرآن، ومسلم (٥٧٦) في المساجد ومواضع الصلاة.
(٤) متفق عليه: البخاري في (١٠٦٧) في سجود القرآن، ومسلم (٥٧٧) في المساجد ومواضع الصلاة.
(٥) عند الآية (١٠٦).
(٦) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٧/ ٤٣) في تفسيره، وعبد الرزاق في تفسيره (٢٩٣٠)، وضعيف إلى ابن عباس: السابق (٢٧/ ٤٣) من طريق العوفيين، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٧)، ورواه البغوي (٧/ ٣٩٧) في تفسيره من هذا الطريق ومن طريق علي بن أبي طلحة منقطعًا.
(٧) ضعيف: القاضي عياض في الشفا (١/ ٨٩) بصيغة التمريض، وقال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا (ص٤٦): « لم أجده ».

نجوما [١]. وقاله الفـراء. وعنه أيضا: يعني نجوم السمـاء كلها حين تغرب. وهو قول الحـسن قال أقسم الله بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع؛ كقول الراعي:

قَبَّاتْ تَعُدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحِيرةٍ سَرِيع بِأيدي الآكلِين جمُودُها

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَحْسَنُ النَّجْمِ في السماءِ الثُّرَيَّا وَالثُّرَيَّا في الأرضِ زَيْنُ النِّساءِ

وقال الحسن أيضـا: المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القـيامة [٢]. وقال السدي: إن النجم هاهنا الزُّهرة لأن قـومـا من العرب كـانوا يعـبدونهـا [٣]. وقيـل: المراد به النجوم التي تُرْجَمُ بهـا الشياطين؛ وسببه: أن الله تعالى لما أراد بعث محمد ﷺ رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده، فذعر أكـثر العرب منها ، وفـزعوا إلى كاهن كان لهم ضريرا، كـان يخبرهم بالحوادث فـسألوه عنها فقال: انظروا البروج الاثني عـشر فإن انقضى منها شيء فهو ذهاب الدنـيا، فإن لم ينقض منها شيء فسيـحدث في الدنيا أمر عظيم، فـاستشعروا ذلك؛ فلمـا بعث رسول الله ﷺ كان هو الأمر العظيم الذي استشعـروه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت. وقـيل: النجم هنا هو النبت الذي ليـس له ساق، و﴿هَوَىٰ﴾ أي سقط عـلى الأرض. وقال جعفـر بن محمد بـن علي بن الحسين رضي الله عنهم: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ يعني محـمدا ﷺ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا نزل من السماء ليلة المعراج [٤]. وعن عروة بن الزبيـر رضي الله عنهما أن عتبـة بن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى الشام فقال: لآتين محمدا فـلأوذينه، فأتاه فقال: يا محمد أنا كـافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنـا فتـدلى. ثم تفل في وجه رسـول الله ﷺ، ورد عليه ابنته وطلقها؛ فقال رسول الله ﷺ: « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» وكان أبو طالب حاضرا فوجم[٥] لها وقـال: ما كان أغناك يابن أخي عن هذه الدعوة، فـرجع عتبة إلى أبيـه فأخبره، ثم خـرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلا، فأشرف عليهم راهب من الدير فقـال لهم: إن هذه أرض مُسْبَعة. فقال أبو لهب لأصحـابه: أغيثونـا يا معشر قـريش هذه الليلة! فإني أخـاف على ابني من دعوة محـمد؛ فجمـعوا جمالهم وأناخوها حولهم، وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله [٦]. وقال حسان:

مَنْ يَرْجِعِ العامَ إلى أَهْلِهِ فَمَا أَكِيلُ السَّبْعِ بالرَّاجِعِ .

وأصل النجم الطلوع؛ يقال: نجم السـن ونجم فلان ببلاد كذا أي خـرج على السلطان. والهُوي

---

(١) صعيف : الطبري في تفسيره (٢٧/ ٤٣) .

قلت : وهو معنى بعيد جدًا ،ولا يصح لعدم وجود سند له من الوحي .

(٢، ٣) زاد المسير (٥/ ٤٣٧) لابن الجوزي،وفتح القدير (٧/ ٦٦) للشوكاني.

(٤) البغوي (٧/ ٤٠٠) في تفسيره.

(٥) الواجم : من أسكته الهم وعلته الكآبة. النهاية (٥/ ١٥٧)،لابن الأثير.

(٦) بهذا السياق عند الزمـخشري (٤/ ٣٧) في الكشاف،وخرجه أبو نعـيم (٣ /٣٨) عن طاووس مرسلاً ،والطبري (٢٧/ ٤٣) في تفسيره مرسلاً عن قتادة ،وبهذا السياق رواه ابن كثير (٧/ ٣٤٢) في تفسيره وعزاه لابن عساكر.

النزول والسقوط؛ يقال: هَوَى يَهْوِي هُوِيا مثل مَضَى يَمضي مُضيا؛ قال زهير:

فَشَجَّ بِهَا الأماعِزَ وهْي تَهْوِي هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَها الرِّشَاءُ

وقال آخر:

بَيْنَما نَحْنُ بالبَلاَكِثِ فالقَا عِ سِراعاً والعِيسُ تَهْوِي هُوِيّاً

خطَرتْ خَطْرَةٌ على القَلْبِ مِن ذِكْـ رَاكِ وَهْناً فما استطعْتُ مُضِيّا

الأصمعي: هَوَى بالفتح يَهْوِي هُوِيا أي سقط إلى أسفل. قال: وكذلك آنهوى في السير إذا مضى فيه، وهَوَى وانْهَوى فيه لغتان بمعنى، وقد جمعهما الشاعر في قوله:

وكَمْ مَنْزِلٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى بأجرامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

ويقال في الحُب: هَوِيَ بالكسر يَهْوَى هَوًى؛ أي أحب.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا جواب القسم؛ أي ما ضل محمد ﷺ عن الحق وما حاد عنه. ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ الغي ضد الرشد أي ما صار غاويا. وقيل: أي ما تكلم بالباطل. وقيل: أي ما خاب مما طلب، والغي الخيبة؛ قال الشاعر:

فمن يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائمَا

أي من خاب في طلبه لامه الناس. ثم يجوز أن يكون هذا إخبارا عما بعد الوحي. ويجوز أن يكون إخبارا عن أحواله على التعميم؛ أي كان أبدا موحدا لله. وهو الصحيح على ما بيناه في «الشورى» عند قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ قال قتادة: وما ينطق بالقرآن عن هواه [(١)] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. وقيل: ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي بالهوى؛ قاله أبو عبيدة؛ كقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي فاسأل عنه. النحاس: قول قتادة أولى، وتكون ﴿عَنِ﴾ على بابها، أي ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل؛ لأن بعده ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

الثانية: قد يحتج بهذه الآية من لا يجوز لرسول الله ﷺ الاجتهاد في الحوادث. وفيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل [(٢)]. وقد تقدم في مقدمة الكتاب حديث المقدام بن معدي كرب في ذلك والحمد لله. قال السجستاني: إن شئت أبدلت ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ من ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ قال ابن الأنباري: وهذا غلط؛ لأن ﴿إِنْ﴾ الخفيفة لا تكون مبدلة من ﴿مَا﴾ الدليل على هذا: أنك لا تقول: والله ما قمت إن أنا لقاعد.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين؛ سوى الحسن فإنه قال: هو الله عز وجل [(٣)]، ويكون قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ على قول الحسن تمام الكلام، ومعناه

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٤٤).

(٢) سبق هذا في مقدمة الكتاب.

(٣) قول الحسن وقتادة وأبي العالية والربيع وغيرهم عند الطبري (٢٧/ ٤٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٧) في تفسيره، والبغوي (٧/ ٤٠٠) في تفسيره.

ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى؛ وأصله من شدة فتـل الحبل، كأنه استمر به الفتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحل. ثم قال: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ يعني الله عز وجل؛ أي استوى على العرش. روي معناه عن الحسن[١]. وقال الربيع بـن أنس والفراء: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أي استـوى جبـريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وهذا على العطف على المضمر المرفوع بـ ﴿هُوَ﴾. وأكثر العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أظهروا كنـاية المعطوف عليه؛ فيقولون: استـوى هو وفلان؛ وقلما يقولون: استوى وفلان؛ وأنشد الفراء:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّبْعَ يَصلُبُ عُودُهُ ولا يَسْتَوِي والخِرْوَعُ المتقصِّفُ.

أي لا يستوي هو والخروع؛ ونظير هذا: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧] والمعنى أئذا كنا ترابا نحن وآباؤنا. ومعنى الآية: اسـتوى جبريل هو ومحـمد عليهما السـلام ليلة الإسراء بالأفق الأعلى. وأجاز العطف على الضمير لئلا يتكرر. وأنكر ذلك الزجاج إلا في ضرورة الشعر. وقيل: المعنى فاستوى جبـريل بالأفق الأعلى، وهو أجود. وإذا كـان المستوي جـبريل فـمعنى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ في وصفه ذو منطق حسن؛ قاله ابن عباس [٢]. وقال قتادة: خَلْق طويل حسن[٣]. وقيل: معناه ذو صحة جسم وسلامة من الآفات؛ ومنه قول النبي ﷺ «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي» [٤]. وقال امرؤ القيس:

كنتُ فيهم أبداً ذا حِيلة مُحْكَمَ المِرَّةِ مأمُونَ العُقَد

وقد قيل: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو قوة. قال الكلبي: وكان من شدة جبـريل عليه السلام: أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الأرض السفلى، فحـملها على جناحه حتى رفعها إلى السمـاء، حتى سمع أهل السماء نباح كـلابهم وصياح ديكتـهم ثم قلبها. وكـان من شدته أيضا: أنه أبصـر إبليس يكلم عيـسى عليه السلام على بعض عقاب من الأرض المقدسة فنفحه بجـناحه نفحة ألقاه بأقصى جبل في الهند. وكان من شدته: صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم، فـأصبحوا جاثمين خامدين. وكان من شدته: هبوطه من السماء على الأنبيـاء وصعوده إليها في أسرع من الطرف. وقـال قطرب: تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل: ذو مرة. قال الشاعر:

قد كنتُ قبلَ لِقاكُمُ ذا مِرَّةٍ عندي لِكلِّ مُخاصِمٍ مِيزانُهُ

وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله: أن الله ائتـمنه على وحيه إلى جميع رسله. قال الجوهري: والمرة إحدى الطبائع الأربع والمرة القوة وشدة العقل أيضا. ورجل مرير أي قوي ذو مرة. قال[العباس ابن مرداس]:

تَرى الرَّجُل النَّحيفَ فتزدريه وحَشْوُ ثِيابِه أسدٌ مَرِيرٌ

وقال لقيط :

---

(١) شاذ : وقد سبق .

(٢) منقطع : بين علي بن أبي طلحة وابن عباس: الطبري (٢٧/ ٤٥) في تفسيره.

(٣) وصحيح إلى قتادة : الطبري (٢٧/ ٤٥) في تفسيره.

(٤) صحيح : أبو داود (١٦٣٤) في الزكاة ،والترمذي (٦٥٢) في الزكاة ،وصححه الألباني عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

حتى استمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُهُ مُرُّ العزيمةِ لا رتًّا ولا ضَرَعَا

وقال مجاهد وقتادة: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو قوة[(١)]؛ ومنه قول خفاف بن ندبة:

إنيّ امرؤٌ ذو مِرّةٍ فاستبقِني فيما يَنُوبُ مِن الخُطُوبِ صَلِيبُ

فالقوة تكون من صفة الله عز وجل، ومن صفة المخلوق. ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ يعني جبريل على ما بينا؛ أي ارتفع وعلا إلى مكان في السماء بعد أن عَلَّم محمدا ﷺ، قاله سعيد بن المسيب وابن جبير[(٢)]. وقيل: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها؛ لأنه كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبي ﷺ أن يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء؛ فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وكان النبي ﷺ بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض إلى المغرب، فخر النبي ﷺ مغشيا عليه. فنزل إليه في صورة الآدميين وضمه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه؛ فلما أفاق النبي ﷺ قال: «يا جبريل، ما ظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة». فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب. فقال: «إن هذا لعظيم» فقال: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيرا، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح، كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع[(٣)] يعني العصفور الصغير؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمدا ﷺ. وقول ثالث: أن معنى ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي استوى القرآن في صدره. وفيه على هذا وجهان: أحدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه. الثاني: في صدر محمد ﷺ حين نزل عليه. وقول رابع أن معنى ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ فاعتدل يعني محمدا ﷺ. وفيه على هذا وجهان: أحدهما فاعتدل في قوته. الثاني في رسالته. ذكرهما الماوردي.

قلت: وعلى الأول يكون تمام الكلام ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، وعلى الثاني ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. وقول خامس: أن معناه فارتفع. وفيه على هذا وجهان: أحدهما: أنه جبريل عليه السلام ارتفع إلى مكانه على ما ذكرنا آنفا. الثاني: أنه النبي ﷺ ارتفع بالمعراج. وقول سادس: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ يعني الله عز وجل، أي استوى على العرش على قول الحسن. وقد مضى القول فيه في «الأعراف»[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ جملة في موضع الحال، والمعنى فاستوى عاليا، أي استوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي ﷺ قبل ذلك يراه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا. والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق. وقال قتادة: هو الموضع الذي تأتى منه الشمس. وكذا قال سفيان: هو الموضع الذي تطلع منه الشمس[(٥)]. ونحوه عن مجاهد. ويقال: أُفْقٌ وأُفُقٌ مثل عُسْر وعُسُر. وقد

(١) صحيح إليهما: الطبري (٢٧/ ٤٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٨) في تفسيره.

(٢) انظر: البغوي بنحوه (٧/ ٤٠١) في تفسيره.

(٣) ضعيف: وقد رواه ابن المبارك مرسلاً في الزهد (١/ ٧٤) عن ابن شهاب الزهري ـ رحمه الله، وقد ضعفه بسبب إرساله، وإن كان حسنًا إلى الزهري.

(٤) عند الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

(٥) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٧/ ٤٦) في تفسيره.

مضى في «حم السجدة»[١]. وفَرَسٌ أُفُقٌ بالضم أي رائع وكذلك الأنثى؛ قال الشاعر:

أرجِّلُ لِمَتِي وأَجُرُّ ذَيْلِي وتَحمِلُ شِكَّتِي أُفُقٌ كُمَيْتُ

وقيل: ﴿وَهُوَ﴾ أي النبي ﷺ ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ يعني ليلة الإسراء وهذا ضعيف؛ لأنه يقال: استوى هو وفلان، ولا يقال: استوى وفلان إلا في ضرورة الشعر. والصحيح استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالأفق الأعلى على صورته الأصلية؛ لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحب النبي ﷺ أن يراه على صورته الحقيقية، فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فنزل على النبي ﷺ بالوحي. المعنى أنه لما رأى النبي ﷺ من عظمته ما رأى، وهاله ذلك رده الله إلى صورة آدمي حين قرب من النبي ﷺ بالوحي، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يعني أوحى الله إلى جبريل وكان جبريل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم[٢] وعن ابن عباس أيضا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أن معناه أن الله تبارك وتعالى ﴿دَنَا﴾ من محمد ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾[٣]. وروى نحوه أنس بن مالك عن النبي ﷺ[٤]. والمعنى دنا منه أمره وحكمه. وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب منه فوضع موضع القرب؛ قال لبيد:

فتَدَلَّيت عليه قافلاً وعلى الأرض غيَابَات الطَّفَل

وذهب الفراء إلى أن الفاء في ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ بمعنى الواو، والتقدير: ثم تدلى جبريل عليه السلام و دنا. ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحدا أو كالواحد قدمت أيهما شئت، فقلت: فدنا فقرب وقرب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني؛ لأن الشتم والإساءة شيء واحد. وكذلك قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] المعنى والله أعلم: انشق القمر واقتربت الساعة. وقال الجرجاني: في الكلام تقديم وتأخير أي تدلى فدنا؛ لأن التدلي سبب الدنو. وقال ابن الأنباري: ثم تدلى جبريل أي نزل من السماء فدنا من محمد ﷺ. وقال ابن عباس: تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه[٥]. وسيأتي. ومن قال: المعنى فاستوى جبريل ومحمد بالأفق الأعلى قد يقول: ثم دنا محمد من ربه دنو كرامة فتدلى أي هوى للسجود. وهذا قول الضحاك[٦]. قال القشيري: وقيل على هذا: تدلى، أي تدلل؛ كقولك: تظني بمعنى تظنن، وهذا بعيد؛ لأن الدلال غير مرضي في صفة العبودية.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي ﴿كَانَ﴾ محمد من ربه أو من جبريل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي قدر قوسين عربيتين. قال ابن عباس وعطاء والفراء[٧]. الزمخشري: فإن قلت كيف تقدير قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ ؟ قلت: تقديره: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات كما قال أبوعلي في قوله:

وَقَدْ جَعَلَتْنِي مِن حَزِيمَةَ إِصْبَعَا

---

(١) عند الآية (٥٣).

(٢) صحيح إليهم: ولم أجده عن ابن عباس: الطبري (٢٧/ ٤٧) في تفسيره، وفتح القدير(٧/ ٦٧) للشوكاني.

(٣) في إسناده نظر: السابق (٢٧/ ٤٧).

(٤) صحيح: البخاري (٧٥١٧) في التوحيد. (٥ ـ ٧) تفسير البغوي (٧/ ٤٠٢).

أي ذا مقدار مسافة إصبع ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي على تقديركم؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. وفي الصحاح: وتقول: بينهما قَابُ قوس، وقِيبُ قوس وقَادُ قوس، وقِيدُ قوس؛ أي قدر قوس. وقرأ زيد بن علي «قَاد»، وقرئ «قِيد» و«قَدر». ذكره الزمخشري [(١)]. والقاب ما بين المقبض والسِّية. ولكل قوس قابان. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أراد قابي قوس فقلبه. وفي الحديث: «ولقاب قوس أحدكم في الجنة وموضع قِده خيرٌ من الدنيا وما فيها» [(٢)] والقد: السوط. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» [(٣)]. وإنما ضرب المثل بالقوس، لأنها لا تختلف في القاب. والله أعلم. قال القاضي عياض: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قُرب مدى، وإنما دنو النبي ﷺ من ربه وقربه منه: إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته. ومن الله تعالى له: مبرة وتأنيس وبسط وإكرام. ويتأول في قوله عليه السلام: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» [(٤)] على أحد الوجوه: نزول إجمال وقبول وإحسان. قال القاضي: وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فمن جعل الضمير عائدا إلى الله تعالى لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وإظهار التحفي، وإنافة المنزلة والقرب من الله؛ ويتأول في قوله عليه السلام: «من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» [(٥)] قرب بالإجابة والقبول، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول. وقد قيل: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل من ربه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قاله مجاهد. ويدل عليه ما روي في الحديث: «إن أقرب الملائكة من الله جبريل عليه السلام» [(٦)]. وقيل: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو أي قاب قوسين وأدنى. وقيل: بمعنى بل أي بل أدنى. وقال سعيد بن المسيب: القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه، ولكل قوس قاب واحد. فأخبر أن جبريل قرب من محمد ﷺ كقرب قاب قوسين. وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهمداني وأبو وائل شقيق بن سلمة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي قدر ذراعين [(٧)]، والقوس الذراع يقاس بها كل شيء، وهي لغة بعض الحجازيين. وقيل: هي لغة أزد شنوءة أيضا. وقال الكسائي: قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أراد قوسا واحدا؛ كقول الشاعر:

ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْن مَرَتَيْنِ قَطَعْتُهُ بالسَّمْتِ لا بالسَّمْتَيْنِ

أراد مهمها واحدا. والقوس تذكر وتؤنث فمن أنث قال في تصغيرها: قويسة، ومن ذكر قال:

---

(١) الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٧٩٦) في الجهاد، ومسلم (١٨٨٠) في الإمارة

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٧٩٣) في الجهاد، ومسلم (١٨٨٢) في الإمارة

(٤) صحيح: وقد سبق، ولا يتأوّل كما قال المصنف، ولكن نثبت لله تعالى ما أثبته لذاته من صفة النزول وغيرها.

(٥) متفق عليه: البخاري (٧٤٠٥) في التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه

(٦) ضعيف: أبو الشيخ (٢٧٧) في العظمة، عن جابر ـ رضي الله عنه.

(٧) رواه الطبري (٢٧/ ٤٨) في تفسيره، والبغوي في تفسيره (٧/ ٤٠٢)

قويس؛ وفي المثل(هو من خير قويس سهما). والجمع قِسِي وقُيسي وأقواسٌ وقياس؛ وأنشد أبو عبيدة:

ووَتَّرَ الأساورُ القِياسَا

والقوس أيضا: بقية النمر في الجُلة ،أي الوعـاء. والقوس: برج في السماء. فأما القُوسُ بالضم فصومعة الراهب؛ قال الشاعر وذكر امرأة:

لاسْتَفْتَنَتْني وذَا المسحَينِ في القُوسِ

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ تفخيم للوحي الذي أوحى إليه. وتقدم معنى الوحي وهو إلقاء الشيء بسرعة ومنه الوحاء الوحاء. والمعنى: فـأوحى الله تعالى إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى. وقيل: المعنى ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريل عليه السلام﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾. وقيل: المعنى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه؛ قاله الربـيع والحسن وابن زيد وقتادة [١]. قال قتادة : أوحى الله إلى جبريل وأوحى جبـريل إلى محمد [٢]. ثم قيل: هذا الوحي هل هو مبـهم؟ لا نطلع عليه نحن وتعبدنا بالإيمـان به على الجملة، أو هو معلوم مفـسر؟ قولان. وبالثاني قال سـعيد بن جبـير، قال : أوحى الله إلى محمد: ألم أجدك يتيما فآويتك! ألم أجدك ضالا فهديتك! ألم أجدك عائلا فأغنيتك! ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [٣] [الشرح: ٤]. وقيل: أوحى الله إليه أن الجنة حـرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمـد، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج؛ وذلك أن الله تعالى جـعل بصره في فؤاده حتـى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية. وقـيل: كانت رؤية حقيـقة بالبصر. والأول مـروي عن ابن عباس [٤]. وفي «صحيح مـسلم» أنه رآه بقلبه. وهو قول أبي ذر [٥] وجماعة من الصحابة. والثـاني قول أنس وجـماعـة. وروي عن ابن عبـاس أيضا أنه قـال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤيـة لمحمـد ﷺ [٦]. وروي عن ابن عبـاس أيـضا أنه قال: أمـا نحن بني هاشم فنـقول إن محمـدا رأى ربه مرتين [٧]. وقد مضى القـول في هذا في

(١، ٢) ذكرها الطبري (٢٧/ ٥٠) في تفسيره .

(٣) كذا عند الشوكاني في فتح القدير (٧/ ٦٨) .

(٤) سيأتي بعد قليل ـ إن شاء الله .

(٥) صحيح : مسلم (١٧٦) في الإيمان موقوفًا وهو قول أبي ذر .

(٦) صحيح : صححه الحاكم في المستدرك (١/ ١٣٣) ،والنسائي (٦/ ٤٧٢) في سننه الكبرى (١١٥٣٩) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/ ٤٦٠) .

(٧) حسن: وقد سبق عند الآية (١٠٣) من سورة الأنعام

«الأنعام» عند قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وروى محمد بن كعب قال: قلنا يا رسول الله، صلى الله عليك، رأيت ربك؟ قال: «رأيته بفؤادي مرتين» ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (١). وقول ثالث: أنه رأى جلاله وعظمته؛ قاله الحسن (٢). وروى أبو العالية قال: سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك» (٣).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أني أراه» (٤)، والمعنى: غلبني من النور وبهرني منه ما منعني من رؤيته. ودل على هذا الرواية الأخرى «رأيت نورا». وقال ابن مسعود: رأى جبريل على صورته مرتين (٥). وقرأ هشام عن ابن عامر وأهل الشام «ما كَذَّبَ» (٦) بالتشديد أي ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه. فـ ﴿مَا﴾ مفعول بغير حرف مقدر؛ لأنه يتعدى مشددا بغير حرف. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى الذي والعائد محذوف، ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. الباقون مخففا؛ أي ما كذب فؤاد محمد فيما رأى؛ فأسقط حرف الصفة.

قال حسان رضي الله عنه:

لو كنتِ صادقة الذي حدّثتني ... لنجوتِ مَنْجَا الحارثِ بنِ هِشامِ

أي في الذي حدثتني. ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. ويجوز أن يكون بمعنى الذي؛ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى.

قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ قرأ حمزة والكسائي: «أَفَتَمْرُونه» بفتح التاء من غير ألف (٧) على معنى أفتجحدونه. واختاره أبو عبيد؛ لأنه قال: لم يماروه وإنما جحدوه. يقال: مراه حقه، أي جحده ومريته أنا؛ قال الشاعر:

لئن هجرت أخا صدقٍ ومكْرُمَةٍ ... لقد مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكَا

أي جحدته. وقال المبرد: يقال: مراه عن حقه وعلى حقه إذا منعه منه ودفعه عنه. قال: ومثل على بمعنى عن قول بني كعب بن ربيعة: رضي الله عليك؛ أي رضي عنك. وقرأ الأعرج ومجاهد: «أَفَتُمْرُونه» بضم التاء من غير ألف (٧) من أمريت؛ أي تريبونه وتشككونه. الباقون ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ بألف، أي أتجادلونه وتدافعونه في أنه رأى الله؛ والمعنيان متداخلان؛ لأن مجادلتهم جحود. وقيل: إن الجحود كان دائما منهم وهذا جدال جديد؛ قالوا: صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا التي في

---

(١) مرسل ضعيف: محمد بن كعب القرظي تابعي، وفي سنده موسى بن عبيدة وهو الربذي ضعيف، الدر المنثور (٦/ ١٦٠) للسيوطي، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٥).

(٢) ضعيف: ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٨) في تفسيره، وفيه عباد بن منصور، ضعفه النسائي.

(٣) ضعيف للإرسال: ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٨) في تفسيره، وقال ابن كثير (٧/ ٣٤٥): «غريب جدًا».

(٤) صحيح: مسلم (١٧٨) في الإيمان.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٨٥٥) في التفسير، ومسلم (١٧٧) في الإيمان من قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأما قول ابن مسعود ففيه: (رأى جبريل وله ستمائة جناح).

(٦ـ ٨) قراءات متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٧).

طريق الشام. على ما تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿نَزْلَةً﴾ مصدر في موضع الحال كأنه قال: ولقد رآه نازلا نزلة أخرى. قال ابن عباس: رأى محمد ﷺ ربه مرة أخرى بقلبه [١]. روى مسلم عن أبي العالية عنه قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين [٢]؛ فقوله: ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعود إلى محمد ﷺ، فإنه كان له صعود ونزول مرارا بحسب أعداد الصلوات المفروضة، فلكل عرجة نزلة وعلى هذا قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ أي ومحمد ﷺ عند سدرة المنتهى وفي بعض تلك النزلات. وقال ابن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: إنه جبريل [٣]. ثبت هذا أيضا في« صحيح مسلم». وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «رأيت جبريل بالأفق الأعلى له ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت» [٤] ذكره المهدوي.

قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ ﴿عِندَ﴾ من صلة ﴿رَآهُ﴾ على ما بينا. والسِّدر شجر النبق وهي في السماء السادسة، وجاء في السماء السابعة. والحديث بهذا في« صحيح مسلم »؛ الأول ما رواه مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثا : أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات [٥]. الحديث الثاني رواه قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: « لما رُفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هَجر، وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت: يا جبريل ما هذا ؟ قال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات» [٦] لفظ الدارقطني. والنبق بكسر الباء: ثمر السدر الواحد نبقة. ويقال: نبق بفتح النون وسكون الباء؛ ذكرهما يعقوب في « الإصلاح »وهي لغة المصريين، والأولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبي ﷺ. وروى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وقد ذكر له سدرة المنتهى قال: «يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب» شك يحيى «فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن [٧].

قلت: وكذا لفظ مسلم من حديث ثابت عن أنس «لما ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة ،وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما أحد من خلق

(١ ، ٢) صحيح : مسلم(١٧٦/ ٢٨٥) في الإيمان من طريق أبي العالية به .

(٣) صحيح : وقد سبق .

(٤) حسن بنحوه : ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٤٧) من طريق الإمام أحمد وحسَّن إسناده ، وبلفظه رواه أبو الشيخ (٣/ ٩٧٨) في العظمة وسنده حسن أيضًا .

(٥) صحيح : مسلم (١٧٣/ ٢٧٩) في الإيمان. والمقحمات: ما يدخل صاحبه النار من الذنوب العظام. النهاية (٤/ ١٩) لابن الأثير.

(٦) صحيح : وقد سبق .

(٧) حسن : الترمذي (٢٥٤١) في صفة الجنة ،وضعفه الألباني

الله يستطيع أن ينعتها من حسنها»[١]. واختلف: لم سميت سدرة المنتهى؟ على أقوال تسعة: الأول: ما تقدم عن ابن مسعود أنه ينتهي إليها كلما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها[٢]. الثاني: أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها؛ قاله ابن عباس[٣]. الثالث: أن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها؛ قاله الضحاك[٤]. الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها؛ قاله كعب[٥]. الخامس: سميت سدرة المنتهى لأنها ينتهي إليها أرواح الشهداء؛ قاله الربيع بن أنس[٦]. السادس: لأنه تنتهي إليها أرواح المؤمنين؛ قاله قتادة. السابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد ﷺ ومنهاجه؛ قاله علي رضي الله عنه والربيع بن أنس أيضا[٧]. الثامن: هي شجرة على رؤوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق؛ قاله كعب أيضا[٨].

قلت: يريد - والله أعلم - أن ارتفاعها وأعالي أغصانها قد جاوزت رؤوس حملة العرش؛ ودليله على ما تقدم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

التاسع: سميت بذلك لأن من رفع إليها فقد انتهى في الكرامة. وعن أبي هريرة لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى فقيل له: هذه سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك؛ فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في ظلها مائة عام لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمة كلها[٩]؛ ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سدرة المنتهى. وقرأ علي وأبو هريرة وأنس وأبو سبرة الجهني وعبد الله بن الزبير ومجاهد «عندها جَنَّةُ المأوى» يعني جنه المبيت. قال مجاهد: يريد أجنه. والهاء للنبي ﷺ. وقال الأخفش: أدركه كما تقول: جنه الليل، أي ستره وأدركه. وقراءة العامة: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ قال الحسن: هي التي يصير إليها المتقون. وقيل: إنها الجنة التي يصير إليها أرواح الشهداء؛ قاله ابن عباس[١٠]. وهي عن يمين العرش. وقيل: هي الجنة التي

---

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) صحيح: مسلم (١٧٣) في الإيمان.

(٣) ضعيف إليه: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٥٦)، نقلاً عن ابن عباس، عن كعب.

(٤) رواه الطبري (٢٧/ ٥٦) في تفسيره.

(٥) ذكره الشوكاني (٧/ ٦٩) في فتح القدير، والماوردي في النكت والعيون (٤/ ١٨٨).

(٦) صحيح إليه: الطبري (٢٧/ ٥٦) في تفسيره.

(٧) حسن إلى الربيع: تفسير الطبري (٢٧/ ٥٦)، وذكره الشوكاني في فتح القدير (٧/ ٦٩)، والماوردي (٤/ ١٨٨) في النكت والعيون.

(٨) ضعيف: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٥٦).

(٩) ضعيف: وهو محتمل للتحسين من هذا السياق: فيه أبو جعفر الرازي وهو سيئ الحفظ وإن كان قد رواه أحمد (١١٨٩٢) في المسند، عن ابن عدي به، وصححه محققه هناك.

(١٠) ضعيف: الطبري ١٧/ ٥٩) في تفسيره من طريق العوفيين، وكذا رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/ ١٦٢).

آوى إليهـا آدم عليه الصلاة والسـلام إلى أن أخرج منها وهي في السـماء السابعـة. وقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى. وإنما قـيل لها: جنة المأوى لأنهـا تأوي إليهـا أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمـون بطيب ريحها. وقيل: لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال ابن عباس والضحاك وابن مـسعود وأصحابه: فراش من ذهب. ورواه مرفوعا ابن مسـعود وابن عباس إلى النبي ﷺ. وقد تقدم في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود قوله[١]. وقال الحسن: غشيها نور رب العالمين فاستنارت. قال القشيري: وسئل رسول الله ﷺ ما غشيها ؟ قال: «فراش من ذهب»[٢]. وفي خبر آخر: «غشيـها نور من الله حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها»[٣]. وقال الربيع بن أنس: غشيها نور الرب والملائكـة تقع عليها كما يقع الغربان على الشجرة[٤]. وعن النبي ﷺ قال: «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسـبح الله تعالى وذلك قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾»[٥] ذكره المهدوي والثعلبي. وقال أنس بـن مالك: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: جـراد من ذهب، وقد رواه مـرفوعـا. وقال مجاهد: إنه رفرف أخضر. وعنه عليه السلام: «يغشاها رفرف من طير خضر»[٦]. وعن ابن عباس: يغشـاها رب العزة ؛ أي أمـره كما فـي «صحيح مـسلم» مرفـوعا: «فلمـا غشيـها من أمـر الله ما غشي»[٧]. وقيل: هو تعظيم الأمر؛ كأنه قـال: إذ يغشى السدرة ما أعلم الله به من دلائل ملكوته. وهكذا قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[النجم] ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤] ومثله﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢]. وقال الماوردي في «معاني القرآن» له: فـإن قيل: لم اختيـرت السدرة لهذا الأمـر دون غيرها من الشجـر؟ قيل: لأن السدرة تختص بثـلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكـية؛ فشابهت الإيمان الذي يجمع قولا وعمـلا ونية؛ فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النيـة لكونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره. وروى أبو داود في سننه قال: حدثنا نصر بن عـلي قال: حدثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن عثـمان بن أبي سليمان عن سعيـد بن محمد بن جبيـر بن مطعم عن عبد الله بن حبشي، قـال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سـدرة صوب الله رأسـه في النار»[٨] وسـئل أبو داود عن معنى هـذا الحديث فـقال: هذا الحـديث مختصر يعني من قطع سـدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبـثا وظلما بغير حق يكون له فيها ؛صوب الله رأسه في النار.

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ قال ابن عباس: أي ما عدل يمينا ولا شمالا، ولا تجاوز الحد

---

(١) صحيح : وقد سبق. (٢) انظر: الطبري (٢٧/ ٥٩) في تفسيره .
(٣) مرسل : من طريق أبي العالية وغيره ، وانظر: البغوي (٧/ ٤٠٦) .
(٤) السابق (٧/ ٤٠٦)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٤٨) ،والطبري (٢٧/ ٦٠) في تفسيره .
(٥) ضعيف جدًا : أرسله ابن زيد إلى النبي ﷺ فهو معضل ،وانظر: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٦٠) .
(٦) هذا من قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كما في تفسير الطبري (٢٧/ ٦٢) بأسانيد فيها ضعف وانقطاع .
(٧) صحيح : وقد سبق .
(٨) صحيح : أبو داود (٥٢٣٩) في الأدب ،وصححه الألباني .

الذي رأى [١]. وقيل: ما جاوز ما أمر به. وقيل: لم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات. وهذا وصف أدب للنبي ﷺ في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ قال ابن عباس: رأى رفرفا سد الأفق [٢]. وذكر البيهقي عن عبد الله قال: «﴿رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ قال ابن عباس: رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء. وعنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في حُلة رفرف أخضر، قد ملأ ما بين السماء والأرض قال البيهقي: قوله في الحديث « رأى رفرفا » يريد جبريل عليه السلام في صورته في رفرف، والرفرف البساط. ويقال: فراش. ويقال: بل هو ثوب كان لباسا له؛ فقد روي أنه رآه في حلة رفرف [٣].

قلت: خرجه الترمذي عن عبد الله قال: «﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض » قال: هذا حديث حسن صحيح [٤].

قلت: وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم] أنه على التقديم والتأخير؛ أي تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه. قال: « فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي» [٥] فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس عليه كالبساط وغيره. وهو بالمعنى الأول جبريل. قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان: رأى جبريل عليه السلام في صورته التي يكون فيها في السموات [٦]؛ وكذا في «صحيح مسلم » عن عبد الله قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح [٧]. ولا يبعد مع هذا أن يكون في حلة رفرف وعلى رفرف. والله أعلم. وقال الضحاك: رأى سدرة المنتهى. وعن ابن مسعود: رأى ما غشي السدرة من فراش الذهب؛ حكاه الماوردي [٨]. وقيل: رأى المعراج. وقيل: هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه؛ وهو أحسن؛ دليله ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١] و﴿مِنْ﴾ يجوز أن تكون للتبعيض، وتكون ﴿الْكُبْرَىٰ﴾ مفعولة لـ ﴿رَأَىٰ﴾ وهي في الأصل صفة الآيات ووحدت لرؤوس الآيات. وأيضا يجوز نعت الجماعة بنعت الأنثى؛ كقوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ، وقيل: ﴿الْكُبْرَىٰ﴾ نعت لمحذوف؛ أي رأى من آيات ربه الكبرى. ويجوز أن تكون ﴿مِنْ﴾ زائدة؛ أي رأى آيات ربه الكبرى. وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي رأى الكبرى من آيات ربه.

---

(١) فيه انقطاع بين مسلم البطين ، وابن عباس : الطبري (٢٧/ ٦١) في تفسيره .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) انظر: الطبري (٢٧/ ٦١، ٦٢) في تفسيره.
(٤) حسن صحيح : الترمذي في تفسير القرآن (٣٢٨٣)، وصححه الألباني هناك .
(٥) ضعيف : وقد سبق .
(٦) سبق تخريجه .
(٧) صحيح : وقد سبق .
(٨) النكت والعيون للماوردي (٤/ ١٨٨) .

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ لما ذكر الوحي إلى النبي ﷺ، وذكر من آثار قدرته ما ذكر، حاج المشركين إذ عبدوا ما لا يعقل وقال: أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها أوحين إليكم شيئا كما أوحي إلى محمد. وكانت اللات لثقيف، والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال. وقال هشام: فكانت مناة لهذيل وخزاعة؛ فبعث رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح. ثم اتخذوا اللات بالطائف، وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة، وكان سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها بناء، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها. وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات. وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى، فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار. ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات، اتخذها ظالم بن أسعد، وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عرق، فبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منها الصوت (١). قال ابن هشام: وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٢) قال: كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: «ايت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سَمُرات فاعضد الأولى» فأتاها فعضدها فلما جاء إليه قال: «هل رأيت شيئا ؟» قال: لا. قال: «فاعضد الثانية» فأتاها فعضدها، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «هل رأيت شيئا ؟» قال: لا. قال: «فاعضد الثالثة» فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها تُصَرِّفُ بأنيابها، وخلفها دُبَيَّة السلمى وكان سادنها فقال:

يا عُزّ كُفْرَانك لا سبْحانكِ إني رأيْتُ اللّهَ قَد أهانَكِ

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُممة، ثم عضد الشجرة وقتل دُبَيَّةَ السادن، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبدا» (٣). وقال ابن جبير: العزى: حجر أبيض كانوا يعبدونه. قتادة: نبت كان ببطن نخلة. ومناة: صنم لخزاعة. وقيل: إن اللات فيما ذكر بعض المفسرين أخذه المشركون من لفظ الله، والعزى من العزيز، ومناة من منى الله الشيء إذا قدره. وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح« اللاتّ» بتشديد التاء (٤). وقالوا: كان رجلا يلت السويق للحاج(٥)

---

(١) هذا من كلام هشام بن محمد بن السائب الكلبي كما في كتاب « الأصنام »، والله أعلم، وهشام حاله كأبيه من الكذب .

(٢) ضعيف : الحادثة روها النسائي في الكبرى (١١٥٤٧) من حديث أبي الطفيل ، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٧٦) وعزاه للطبراني وفيه يحيى بن المنذر وهو : ضعيف

(٣) انظر السابق .

قلت : وفي هذه الروايات اضطراب ،فقد كانت هذه الأصنام في الكعبة ، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦١) .

(٤) قراءة متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٧٧) .

(٥) صحيح : البخاري (٤٨٥٩) في التفسير .

ذكر البخاري عن ابن عباس - فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. ابن عباس: كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويصبه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاما لصاحب السويق. أبو صالح: إنما كان رجلا بالطائف فكان يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق فلما مات عبدوه. مجاهد: كان رجل في رأس جبل له غُنيمة يسلي [١] منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رِسْلها، ثم يتخذ منها حَيْسا [٢] فيطعم الحاج، وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات. وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له: صرمة بن غنم. وقيل: إنه عامر بن ظَرب العدواني. قال الشاعر:

لا تَنْصُروا اللاتَ إنَّ اللَّه مُهْلِكُهَا ... وكيف يَنْصُرُكُمْ مَنْ ليس يَنْتَصِرُ

والقراءة الصحيحة ﴿اللاَّتَ﴾ بالتخفيف اسم صنم والوقوف عليها بالتاء وهو اختيار الفراء. قال الفراء: وقد رأيت الكسائي سأل أبا فَقْعَس الأسدي فقال: ذاه لذات، ولاه للات، وقرأ « أفرأيتم اللاه » وكذا قرأ الدوري عن الكسائي والبزي عن ابن كثير «اللاه » بالهاء في الوقف [٣]، ومن قال: إن ﴿اللاَّتَ﴾ من الله وقف بالهاء أيضا. وقيل: أصلها لاهة مثل شاة أصلها شاهة وهي من لاهت أي اختفت؛ قال الشاعر:

لاَهَتْ فما عُرِفت يوماً بخارجةٍ ... يا ليتها خَرجتْ حتَّى رأيناها

وفي الصحاح: اللات اسم صنم كان لثقيف وكان بالطائف، وبعض العرب يقف عليها بالتاء، وبعضهم بالهاء؛ قال الأخفش: سمعنا من العرب من يقول: اللات والعزى، ويقول: هي اللات فيجعلها تاء في السكوت وهي اللات، فاعلم أنه جُرَّ في موضع الرفع؛ فهذا مثل أمس مكسور على كل حال وهو أجود منه؛ لأن الألف واللام اللتان في اللات لا تسقطان وإن كانتا زائدتين؛ وأما ما سمعنا من الأكثر في اللات والعزى في السكوت عليها فاللاه ؛لأنها هاء فصارت تاء في الوصل وهي في تلك اللغة مثل : كان من الأمر كيت وكيت، وكذلك هيهات في لغة من كسرها؛ إلا أنه يجوز في هيهات أن تكون جماعة ولا يجوز ذلك في اللات؛ لأن التاء لا تزاد في الجماعة إلا مع الألف، وإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ قرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي والأعشى عن أبي بكر «ومَنَاءة »بالمد والهمز [٤]. والباقون بترك الهمز لغتان. وقيل: سمي بذلك؛ لأنهم كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه. وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق فيها من الدماء. وكان الكسائي وابن كثير وابن محيصن يقفون بالهاء على الأصل. الباقون بالتاء اتباعا لخط المصحف. وفي الصحاح: ومناة اسم صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهي لغة، والنسبة إليها منوي. وعبد مناة بن أُد بن طابخة،وزيد مناة بن تميم بن مُرٍّ يمد ويقصر؛ قال

---

(١) يسلى : يجمع . اللسان « سلا»، والأقط: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به. اللسان « أقط ».

(٢) الحيس هو : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن ، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت. النهاية (١/ ٤٦٧) لابن الأثير.

(٣) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٧٨) .

(٤) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٧٧) .

هوبر الحارثي :

ألاَ هلْ أتى التَّيْمَ بنَ عبدِ مَنَاءة على الشَّنْءِ فيما بيننا ابْنُ تَميم

قوله تعالى: ﴿الأُخْرَىٰ﴾ العرب لا تقول للثالثة أخرى ، وإنما الأخرى نعت للثانية، واختلفوا في وجهها فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي؛ كقوله: ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]ولم يقل: آخر. وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير مجازها أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة. وقيل: إنما قال: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى فالكلام على نسقه. وقد ذكرنا عن ابن هشام: أن مناة كانت أولا في التقديم، فلذلك كانت مقدمة عندهم في التعظيم؛ والله أعلم. وفي الآية حذف دل عليه الكلام؛ أي أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله. ثم قال على جهة التقريع والتوبيخ: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ﴾ ردّا عليهم قولهم: الملائكة بنات الله، والأصنام بنات الله .

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا﴾ يعني هذه القسمة ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي جائرة عن العدل، خارجة عن الصواب، مائلة عن الحق. يقال: ضاز في الحكم أي جار، وضاز حقه يَضِيزه ضَيْزا - عن الأخفش - أي نقصه وبخسه. قال: وقد يهمز فيقال: ضأزه يَضْأزه ضَأزا وأنشد :

فإنْ تَنْأ عنَّا نَنْتقصْكَ وإنَ تُقمْ فقسْمُكَ مَضْوزٌ وأنفُكَ رَاغِمُ

وقال الكسائي: يقال: ضَازَ يَضِيزُ ضَيْزا، وضَازَ يَضُوز، وضَأز يَضْأز ضَأزا إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص؛ قال الشاعر:

ضَازَتْ بنو أسدٍ بِحُكمِهِمُ إذ يجعلون الرأسَ كالذَّنَبِ

قوله تعالى: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي جائرة، وهي فُعلَى مثل طُوبى وحُبلى؛ وإنما كسروا الضاد لتسلم الياء؛ لأنه ليس في الكلام فِعْلَى صفة، وإنما هو من بناء الأسماء كالشِّعرى والدِّفْلى. قال الفراء: وبعض العرب تقول :ضُوزى وضِئزى بالهمز. وحكى أبو حاتم عن أبي زيد: أنه. سمع العرب تهمز ﴿ضِيزَىٰ﴾. قال غيره: وبها قرأ ابن كثير [1]؛ جعله مصدرا مثل ذكرى وليس بصفة؛ إذ ليس في الصفات فِعْلى ولا يكون أصلها فُعْلى؛ إذ ليس فيها ما يوجب القلب، وهي من قولهم: ضأزته أي ظلمته. فالمعنى قسمة ذات ظلم. وقد قيل :هما لغتان بمعنى. وحكى فيها أيضا سواهما: ﴿ضِيزَىٰ﴾ وضَأْزَى وضُوْزَى وضُؤْزَى. وقال المؤرج: كرهوا ضم الضاد في ﴿ضِيزَىٰ﴾، وخافوا انقلاب الياء واوا وهي من بنات الواو؛ فكسروا الضاد لهذه العلة، كما قالوا في جمع: أبيض بِيضٌ، والأصل بُوضٌ؛ مثل حُمْر وصُفْر وخُضْر. فأما من قال: ضَازَ يَضُوز فالاسم منه ضُوزَى مثل شُورَى.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

(١) قراءة متواترة :تقريب النشر (ص١٧٧)

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي ما هي يعني هذه الأوثان ﴿إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني نحتموها وسميتموها آلهة. ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ أي قلدتموهم في ذلك. ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ عاد من الخطاب إلى الخبر أي ما يتبع هؤلاء إلا الظن. ﴿وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ أي تميل إليه. وقراءة العامة «﴿يَتَّبِعُونَ﴾ بالياء. وقرأ عيسى بن عمر وأيوب وابن السميقع «تتبعون» بالتاء على الخطاب. وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ أي البيان من جهة الرسول أنها ليست بآلهة. ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي اشتهى أي ليس ذلك له. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من البنين؛ أي يكون له دون البنات. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من غير جزاء، ليس الأمر كذلك. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من النبوة أن تكون فيه دون غيره. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من شفاعة الأصنام؛ نزلت في النضر بن الحارث. وقيل: في الوليد بن المغيرة [1]. وقيل: في سائر الكفار. ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى أحد.

قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له. قال الأخفش: الملك واحد ومعناه جمع؛ وهو كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]. وقيل: إنما ذكر ملكا واحدا، لأن ﴿كَم﴾ تدل على الجمع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ هم الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله والأصنام بنات الله ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى﴾ أي كتسمية الأنثى، أي يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله. ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي إنهم لم يشاهدوا خلقه الملائكة، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول الله ﷺ، ولم يروه في كتاب. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ أي ما يتبعون ﴿إِلاَّ الظَّنَّ وإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ في أن الملائكة إناث. قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن والإيمان. وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ نزلت في النضر. وقيل: في الوليد. ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي إنما يبصرون أمر دنياهم ويجهلون أمر دينهم. قال الفراء: صغرهم وازدرى بهم؛ أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: أن جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي حاد عن دينه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ فيجازي كلا بأعمالهم.

---

(١) انظر: أسباب النزول بنحوه (ص٣٣٨) للواحدي.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۝ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ اللام متعلقة بالمعنى الذي دل عليه ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ كأنه قال: هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. وقيل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ معترض في الكلام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزي. وقيل: هي لام العاقبة، أي ولله ما في السموات وما في الأرض؛ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن؛ فللمسيء السوآى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾.

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ هذا نعت للمحسنين؛ أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي «كبير» على التوحيد [1] وفسره ابن عباس بالشرك. ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ الزنا. وقال مقاتل: ﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ كل ذنب ختم بالنار. ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ كل ذنب فيه الحد. وقد مضى في «النساء» القول في هذا [2]. ثم استثنى استثناء منقطعا وهي: الثانية: فقال: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه. وقد اختلف في معناها؛ فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: ﴿اللَّمَمَ﴾ كل ما دون الزنا. وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار؛ كان له حانوت يبيع فيه تمرا، فجاءته امرأة تشتري منه تمرا فقال لها: إن داخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان؛ فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع؛ فقال: «لعل زوجها غاز» [3] فنزلت هذه الآية، وقد مضى في آخر «هود» [4]، وكذا قال ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من القُبْلة والغمزة والنظرة والمضاجعة. وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق ذلك أو يكذبه الفرج؛ فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لمما [5]. وفي «صحيح البخاري ومسلم» عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة: إن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص.١٧٠).
(٢) عند الآية (٣١).
(٣) معضل: ومقاتل بينه وبين الرسول ﷺ زمن بعيد، وانظر: النكت والعيون للماوردي ـ رحمه الله (٥/ ٤٠١).
(٤) الآية (١١٤) من سورة هود، والقصة قصة (أبي اليسر) وقد سبقت.
(٥) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٦٩).

على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محـالة ،فزنى العينين النظر ،وزنـى اللسان النطق ،والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»[١] . والمعنى: أن الفاحشة العظيمة والزنا التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخـرة هو في الفرج وغيره له حظ من الإثم. والله أعلم. وفي رواية أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نَصِـيبُهُ من الزنا مدرك لا محـالة فالعينان زناهما النظر والأذنـان زناهما الاستـماع واللسان زناه الكلام واليـد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى ،ويصدق ذلك الفرج ويكذبه». خرجه مسلم [٢] . وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الأذن واليد والرجل، وزاد فيـه بعد العينين واللسان: «وزنى الشفتين القبلة» فهذا قول. وقال ابن عباس أيضا: هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب. قال: ألم تسمع النبي ﷺ كان يقول :

« إن يَغفرِ اللَّهُ يغفر جمًّا وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألَمَّا »

رواه عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس [٣] . قال النحاس: هذا أصح ما قـيل فيه وأجلها إسنادا. وروى شعبة عن منصور عن مجـاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ قال: هو أن يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده؛ قال الشاعر:

إن تَغفرِ اللهم تغفر جَمًّا وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألَمَّا [٤]

وكذا قال مجـاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده [٥] ،ونحوه عن الزهري، قال: اللمم أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب الخـمر ثم يتوب فلا يعود. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران :١٣٥] الآية. ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٦] فضمن لهم المغفرة؛ كـما قال عقيب اللمم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ فعلى هذا التأويل يكون ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ استثناء متصل. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم مـا دون الشرك [٦] . وقيل: اللمم الذنب بـين الحدين وهو ما لم يأت عليـه حدٌّ في الدنيا، ولا توعد عليـه بعذاب في الآخرة تكفره الصلوات الخمس. قاله ابن زيد وعـكرمة والضحاك وقتـادة [٧] . ورواه العوفي والحـكم بن عتيـبة عن ابن عـباس [٨] . وقال الكلبي [٩] : اللمم على وجـهين: كل ذنب لم يذكـر الله عليـه حدا في الدنيـا ولا عـذابا في الآخرة؛ فـذلك الذي تكفـره الصلوات الخمس مـا لم يبلغ الكبائر والفـواحش. والوجه الآخر: هو الذنب العظيـم يلم به الإنسان المرة بعد المرة فيتوب منه. وعن ابن عبـاس أيضا وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٢٤٣) في الاستئذان ،ومسلم(٢٦٥٧) في القدر .

(٢) صحيح : مسلم (٢٦٥٧) في القدر .

(٣) صحيح : الترمذي (٣٢٨٤) في تفسير القرآن ،وصححه الألباني هناك .

(٤) صحيح : إلا أن الطبري رواه عن مجاهد لا عن ابن عباس .الطبري (٢٧/ ٧٠) في تفسيره .

(٥) صحيح : السابق (٢٧/ ٧٠).

(٦) حسن : الطبري في تفسيره (٢٧/ ٧١).

(٧) كذا عند الطبري (٢٧/ ٧١، ٧٢) في تفسيره بأسانيد صحاح

(٨) صحيح : من طريق الحكم بن عتيبة ، ورجاله ثقات :الطبري (٢٧/ ٧٢) في تفسيره إن كان سمع من ابن عباس.

(٩) انظر :تفسير البغوي (٧/ ٤١٢) .

فلا يؤاخذهم به [١]. وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنما كنتم بالأمس تعملون معنا فنزلت، وقاله زيد بن أسلم وابنه؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]. وقيل: اللمم هو أن يأتي بذنب لم يكن له بعادة؛ قاله نفطويه. قال: والعرب تقول: ما يأتينا إلا لماما؛ أي في الحين بعد الحين. قال: ولا يكون أن يلم ولا يفعل، لأن العرب لا تقول: ألم بنا إلا إذا فعل الإنسان لا إذا هَمَّ ولم يفعله. وفي الصحاح: وألم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة. وأنشد غير الجوهري:

بِزينَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أن يَرْحَلَ الرَّكبُ وقُلْ إِنْ تَمَلَّينَا فما مَلَّكِ الْقَلْبُ

أي اقرب. وقال عطاء بن أبي رباح: اللمم عادة النفس الحين بعد الحين. وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألم على القلب [٢]؛ أي خطر. وقال محمد ابن الحنفية: كل ما هممت به من خير أو شر فهو لمم. ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «إن للشيطان لمة وللملك لمة» الحديث[٣]. وقد مضى في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾[البقرة:٢٦٨]. وقال أبو إسحاق الزجاج: أصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه؛ يقال: ألممت به إذا زرته وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لمما وإلماما؛ أي الحين بعد الحين. وإنما زيارتك إلمام، ومنه إلمام الخيال؛ قال الأعشى:

أَلَمَّ خَيَالٌ مِن قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا وَهَى حَبْلُها مِن حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا

وقيل: إلا بمعنى الواو. وأنكر هذا الفراء وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب. وقيل: اللمم النظرة التي تكون فجأة.

قلت: هذا فيه بُعْدٌ إذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد واختيار، وقد مضى في «النور» بيانه[٤]. واللمم أيضا طرف من الجنون، ورجل مَلْمُومٌ أي به لَمَمٌ. ويقال أيضا: أصابت فلانا لمة من الجن وهي المس والشيء القليل؛ قال الشاعر:

فإذا وذَلك يا كُبيشةُ لَم يَكُن إلا كَلَمَّةِ حَالِمٍ بِخَيَالِ

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لمن تاب من ذنبه واستغفر؛ قاله ابن عباس [٥]. وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود: رأيت في المنام كأني دخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل بعضهم بعضا، فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة. فقال أبو خالد: بلغني أن ذا الكلاع أعتق اثني عشر ألف بنت [٦].

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من أنفسكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ يعني أباكم آدم من الطين وخرج

(١، ٢) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤١٢).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٩٨٨) في تفسير القرآن، عن ابن مسعود، وصححه الألباني هناك.

(٤) عند الآيتين (٣٠، ٣١).

(٥) كذا عند البغوي (٧/ ٤١٣) في تفسيره.

(٦) هذه مجرد رؤيا لا يعلم أحدٌ بها إلا الله ـ سبحانه.

اللفظ على الجمع. قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا، بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعتم من الأرض، وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه إلى الأصلاب مع ذَرْوِ النفوس على اختلاف هيئتها، ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات؛ منهم كالدر يتلألأ، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحُممة، وبعضهم أشد سوادا من بعض؛ فكان الإنشاء واقعا علينا وعليه. حدثنا عيسى بن حماد العسقلاني قال: حدثنا بشر بن بكر، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض علي الأولون والآخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة» فقال قائل: يا رسول الله! ومن مضى من الخلق؟ قال: « نعم عرض علي آدم فمن دونه فهل كان خُلِقَ أحد » قالوا: ومن في أصلاب الرجال وبطون الأمهات؟ قال: « نعم مثلوا في الطين فعرفتهم كما علم آدم الأسماء كلها» (١).

قلت: وقد تقدم في أول «الأنعام» (٢) أن كل إنسان يخلق من طين البقعة التي يدفن فيها. ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن، سمي جنينا لاجتنابه واستتاره. قال عمرو بن كلثوم:

هجان اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

وقال مكحول: كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي، ثم صرنا رُضَّعًا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يَفَعَةً فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخا لا أبا لك - فما بعد هذا ننتظر؟!. وروى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق؛ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد» (٣)، فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ إلى آخرها. ونحوه عن عائشة: «كان اليهود» بمثله. ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها، فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي أخلص العمل واتقى عقوبة الله؛ عن الحسن وغيره. قال الحسن: قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة. وقد مضى في «النساء» الكلام في معنى هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [النساء: ٤٩] فتأمله هناك. وقال ابن عباس: ما من أحد من هذه الأمة أزكيه غير رسول الله ﷺ. والله تعالى أعلم.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۝٣٤﴾ الآيات، لما بين جهل المشركين في

(١) مرسل، بل معضل: فالأوزاعي تابعي جليل مات سنة (١٥٧) هـ، وبينه وبين الرسول ﷺ زمن طويل.

(٢) عند الآية (٢).

(٣) ضعيف: الطبراني في الكبير (٢/ ٨١)، وفيه ابن لهيعة ضعيف، ورواه الواحدي في أسباب النزول (ص٣٣٨)، والسيوطي في اللباب (ص٣٨٩)، وعزاه في الدر (٦/ ١٦٦) لابن أبي حاتم، ولأبي نعيم في المعرفة، وابن مردويه.

عبادة الأصنام ذكر واحـدا منهم معينا بسوء فعله. قال مجاهـد وابن زيد ومقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد أتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين، وقال: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله؛ فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركـه أن يتحـمل عنه عذاب الله، فـأعطى الذي عاتبـه بعض ما كان ضـمن له ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١]. وقال مقاتل: كال الوليـد مدح القرآن ثم أمسك عنه [٢]، فنزل ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً﴾ أي من الخير بلسانه ﴿وَأَكْدَىٰ﴾ أي قطع ذلك وأمسك عنه. وعنه: أنه أعطى رسول الله ﷺ عقـد الإيمان ثم تولى فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ الآية [٣]. وقال ابن عبـاس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك: نزلت في عثـمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق في الخـير، فقال له أخوه من الرضـاعة عبـد الله بن أبي سرح: مـا هذا الذي تصنع؟ يوشك ألا يبقى لك شيء. فـقال عثمان: إن لي ذنوبا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجـو عفوه! فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها ، فأعطـاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجملـه. ذكر ذلك الواحدي [٤] والثعلبي. وقـال السدي أيضـا: نزلت في العاص بن وائل السهـمي، وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ [٥]. وقال محمـد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل بن هشام، قال: والله ما يأمـر محمد إلا بمكارم الأخلاق [٦]؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾. وقال الضحاك: هو النضر بن الحارث أعطى خمـس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه، وضمن له أن يتحمل عنه مأثم رجوعه [٧]. وأصل ﴿أَكْدَىٰ﴾ من الكدية يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفـر: قد أكدى، ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره. وقال الحطيئة :

فَأَعْطَى قَلِيلا ثم أَكْدَى عَطَاءَهُ ومن يَبْذُلِ المعروفَ في النَّاسِ يُحْمَدِ

قال الكسائي وغـيره: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ فـي حفره كُدية أو جبلا فـلا يمكنه أن يحفر. وحفر فأكـدى إذا بلغ إلى الصلب. ويقال: كَديت أصابعه إذا كلت من الحـفر. وكَديت يده إذا كلت فلم تعمل شـيئا. وأكْـدى النبت إذا قل ريعه، وكَـدَتِ الأرضُ تَكْدُو كَدَوًا وكُدُوًّا فـهي كادية إذا أبطأ نبـاتهـا؛ عن أبي زيد. وأكْـدَيْتُ الرجل عـن الشيء رددته عنه. وأكْـدَى الرجـل إذا قل خـيـره. وقوله: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾ أي قطع القليل.

قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ أي أعند هذا المكدي عِلْمُ ما غاب عنه من أمر العذاب؟ ﴿فَهُوَ يَرَىٰ﴾ أي يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكـون من أمره حتى يضمن حمل العذاب عن

---

(١) مرسل: عن ابن زيد كما في تفسير الطبري (٢٧/ ٧٤)، وكذا رواه عن مجاهد، والواحدى في أسباب النزول (ص٣٣٨) .

(٢، ٣) مرسلان : وانظر: السابق (٢٧/ ٧٤) .

(٤) ضعيف: وإن صح السند : الواحدى في أسباب النزول (ص٣٣٨) .

قلت :وهذا غير صحيح في حق عثمان ـ رضي الله عنه ـ ولا أراه إلا من وضع حاقد عليه .

(٥ ، ٦) مرسلان :البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦٦) (٧) مرسل :وقد سبق

غيره، وكفى بهذا جهلا وحمقا. وهذه الرؤية هي المتعدية إلى مفعولين والمفعولان محذوفان؛ كأنه قال: فهو يرى الغيب مثل الشهادة.

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ وأي صحف ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ كما في سورة «الأعلى» ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩] أي لا تؤخذ نفس بدلا عن أخرى؛ كما قال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وخص صحف إبراهيم وموسى بالذكر؛ لأنه كان ما بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة أخيه وابنه وأبيه؛ قاله الهذيل بن شرحبيل (١). ﴿وَأَنْ﴾ هذه المخففة من الثقيلة وموضعها جر بدلا من «ما» أو يكون في موضع رفع على إضمار هو وقرأ سعيد بن جبير وقتادة «وفى» خفيفة ومعناها صدق في قوله وعمله، وهي راجعة إلى معنى قراءة الجماعة ﴿وَفَّىٰ﴾ بالتشديد أي قام بجميع ما فرض عليه فلم يخرم منه شيئا. وقد مضى في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] والتوفية الإتمام. وقال أبو بكر الوراق: قام بشرط ما ادعى؛ وذلك أن الله تعالى قال له: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] فطالبه الله بصحة دعواه، فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيا بذلك؛ فذلك قوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ أي ادعى الإسلام ثم صحح دعواه. وقيل: وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار؛ رواه الهيثم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ (٢). وروى سهل بن سعد الساعدي عن أبيه: ألا أخبركم لم سمى الله تعالى خليله إبراهيم ﴿الَّذِي وَفَّىٰ﴾ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] الآية (٣). ورواه سهل بن معاذ عن أنس عن أبيه عن النبي ﷺ (٤). وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ أي وفى ما أرسل به، وهو قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال ابن عباس: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره (٥)، ويأخذون الولي بالولي في القتل والجراحة؛ فيقتل الرجل بأبيه وابنه وأخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه وزوجته وزوجها وعبده، فبلغهم إبراهيم عليه السلام عن الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَفَّىٰ﴾: عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه. وهذا أحسن؛ لأنه عام. وكذا قال مجاهد: ﴿وَفَّىٰ﴾ بما فرض عليه. وقال أبو مالك الغفاري: قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥] في

---

(١) ضعيف: ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٣٤)، عن عمرو بن أوس، والطبري (٢٧/ ٧٧) في تفسيره، عن ابن عباس.

(٢) ضعيف جدًا: الطبري (٢٧/ ٧٧) في تفسيره، وفي سنده القاسم أبو عبد الرحمن صدوق يغرب كما في التقريب (٥٤٧٠) وجعفر بن الزبير وهو متروك. وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٧) في تفسيره.

(٣، ٤) ضعيف جدًا: الطبرى (٢٧/ ٧٧) في تفسيره.

ورواه الهيثمى (١٠/ ١١٧) في المجمع، وعزاه للطبرانى بسند فيه ضعفاء.

(٥) فى إسناده نظر: الطبرى (٢٧/ ٧٥) فى تفسيره.

صحف إبراهيم وموسى، وقد مضى في آخر «الأنعام» القول فى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤] مستوفى (١).

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ روي عن ابن عباس أنها منسوخة(٢) بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الطور: ٢١] فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[النساء: ١١]. وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحدا عملُ أحد، وأجمعوا ألا يصلي أحدٌ عن أحد. ولم يجز مالك الصيام والحج والصدقة عن الميت، إلا أنه قال: إن أوصى بالحج ومات جاز أن يحج عنه. وأجاز الشافعي وغيره الحج التطوع عن الميت. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه. وروى أن سعد ابن عبادة قال للنبي ﷺ: إن أمي توفيت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء» (٣). وقد مضى جميع هذا مستوفى في «البقرة» و«آل عمران» و«الأعراف». وقد قيل: إن الله عز وجل إنما قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ولام الخفض معناها في العربية الملك والإيجاب فلم يجب للإنسان إلا ما سعى، فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء إلا أن الله عز وجل يتفضل عليه بما لا يجب له، كما يتفضل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل. وقال الربيع بن أنس: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ يعني الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره (٤).

قلت: وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره، وقد تقدم كثير منها لمن تأملها، وليس في الصدقة اختلاف، كما في صدر كتاب مسلم عن عبد الله بن المبارك. وفي الصحيح: « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث» وفيه «أو ولد صالح يدعو له» (٥)، وهذا كله تفضل من الله عز وجل، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه، كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة؛ كما قيل لأبي هريرة: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟» فقال سمعته يقول: «إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة» (٦) فهذا تفضل. وطريق العدل ﴿أَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ خاص في السيئة؛ بدليل ما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: إذا هَمَّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة، فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة

---

(١) انظر: الطبرى (٢٧/ ٧٦) في تفسيره، والبغوى (٧/ ٤١٤) في تفسيره وزاد المسير (٨/ ٨٠) لابن الجوزي.

(٢) ونسخ وهو قول ضعيف.

(٣) صحيح: أبو داود (١٦٨١) فى الزكاة، والنسائى (١٤٩٢) في الكبرى، وابن ماجه (٣٦٨٤) فى الأدب، وصححه الألبانى هناك.

(٤) ذكره البغوى (٧/ ٤١٦) فى تفسيره.

(٥) صحيح: وقد سبق.

(٦) ضعيف: الطبرى (٥/ ٩١) فى تفسيره، وفى إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، والمبارك بن فضالة وهو مدلس.

ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملهـا كتبتها سيئة واحدة »(١). وقال أبو بكر الوراق: ﴿إلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ إلا ما نوى؛ بيانه قوله ﷺ: « يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم »(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ أي يريه الله تعالى جزاءه يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ أي يجزى به ﴿الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ﴾ قال الأخفش: يقال جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما، قال الشاعر:

إِنْ أَجْزِ عَلْقَمَةَ بنَ سَعْدٍ سَعْيَه ... لم أَجْزِهِ بِبَلاءِ يَوْمٍ واحِدِ

فجمع بين اللغتين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ أي المرجع والمراد والمصير فيعـاقب ويثيب. وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الأمان. وعن أبي بن كعب قال: قال النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ قال: (لا فكرة في الرب)(٣). وعن أنس: قال النبي ﷺ: « إذ ذكر الله تعـالى فانته»(٤). قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: « يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»(٥) وقد تقدم في آخر « الأعراف»(٦). ولقد أحسن من قال:

ولا تُفْكِرنْ في ذِي العُلاَ عَـزَّ وجهُهُ ... فإنَّكَ تُردَى إنْ فعلتَ وتُـخْذَلُ

ودونَـك مصنوعـاته فـاعتَبِـرْ بِـهـا ... وقُلْ مِثلَ ما قال الخليلُ المبَجَّلُ

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى فلا فاعل إلا هو؛ وفي« صحيح مسلم» عن عائشة رضي الـله عنها قالت: لا والله ما قال رسول الله ﷺ قط إن الميت يعـذب ببكاء أحـد، ، ولكنه قـال: « إن الكافـر يزيده الله ببكاء أهله عـذابا وإن الله لهـو أضحك وأبكى وما تزر وازرة وزر أخرى»(٧). وعنها قالت: مر النبي ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: « لو تعلمون ما أعلم لضحكـتم قليـلا ولبكيـتم كثيرا » فنـزل عليه جبـريل فقـال: يا محمد! إن الله يقول لك: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾. فرجع إليهم فقال: «ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: ايت هؤلاء فقل لهم: إن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ »(٨) أي قضى أسباب الضحك والبكاء. وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك

---

(١) متفق عليه: البخارى (٤٢) فى الإيمان بنحوه، ومسلم (١٢٨، ١٢٩) فى الإيمان بلفظه.

(٢) صحيح: وقد سبق.

(٣) ضعيف: البغوى (٧/ ٤١٧) فى تفسيره، والدارقطنى (٣/ ٣٦٩) فى الأفراد، وفيه أبو جعفر الرازى سيئ الحفظ.

(٤) لم أجده بلفظه وهو ضعيف بنحوه: البزار عن أبى هريرة، وفيه عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد وهو ضعيف كما فى المجمع للهيثمى(١٠/ ٢٢٦).

(٥) متفق عليه: البخارى (٣٢٧٦) فى بدء الخلق، ومسلم (١٣٤) فى الإيمان عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه.

(٦) عند الآية (٢٠٠).

(٧) متفق عليه: البخارى (١٢٨٨) فى الجنائز، ومسلم (٩٢٩) فى الجنائز.

(٨) ضعيف: الواحدى فى أسباب النزول(ص٢٣٩)، وعزاه السيوطـى فـى الدر (٦/ ١٧٠، ١٧١) لابن مردويه.

والحزن يجلب البكاء[١]. وقيل لعمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي[٢]. وقد تقدم هذا المعنى في «النمل»[٣] و«براءة»[٤]. قال الحسن: أضحك الله أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سره وأبكى من شاء بأن غمه[٥]. الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر[٦]. وقيل: أضحك الأشجار بالنوار، وأبكى السحاب بالأمطار[٧]. وقال ذو النون: أضحك قلوب المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته. وقال سهل بن عبد الله: أضحك الله المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط. وقال محمد بن علي الترمذي: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاه في الدنيا. وقال بسام بن عبد الله: أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:

السِّنُّ تَضحَكُ والأحشاءُ تَحتَرِقُ ... وإنما ضِحكُها زُورٌ ومُختَلَقُ

يا رُبَّ باكٍ بِعَيْنٍ لا دموعَ لها ... ورُبَّ ضاحِكِ سِنٍّ ما بِهِ رَمَقُ

وقيل: إن الله تعالى خص الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان من يضحك ويبكي غير الإنسان. وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك. وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحكوا ولا كَلَّ من دون العرش منذ خلقت جهنم. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ أي قضى أسباب الموت والحياة. وقيل: خلق الموت والحياة كما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] قاله ابن بحر. وقيل: أمات الكافر بالكفر، وأحيا المؤمن بالإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الانعام: ١٢٢] الآية. وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الانعام: ٣٦] على ما تقدم، وإليه يرجع قول عطاء: أمات بعدله وأحيا بفضله. وقول من قال: أمات بالمنع والبخل وأحيا بالجود والبذل. وقيل: أمات النطفة وأحيا النسمة. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب. وقيل: أنام وأيقظ. وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث. ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ أي من أولاد آدم ولم يرد آدم وحواء بأنهما خلقا من نطفة. والنطفة الماء القليل، مشتق من نطف الماء إذا قطر. ﴿تُمْنَىٰ﴾ تصب في الرحم وتراق؛ قاله الكلبي والضحاك وعطاء بن أبي رباح. يقال: منى الرجل وأمنى من المني، وسميت منى بهذا الاسم لما يمنى فيها من الدماء أي يراق. وقيل: ﴿تُمْنَىٰ﴾ تقدر؛ قاله أبو عبيدة. يقال: منيت الشيء إذا قدرته، ومني له أي قدر له؛ قال الشاعر:

حَتَّى تُلاقِيَ ما يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

أي ما يقدر لك القادر.

---

(١) البغوى فى تفسيره (٧/ ٤١٨).

(٢) رواه عبد الرزاق فى المصنف (١١/ ٤٥١)، عن ابن عمر من طريق قتادة، وفيه انقطاع.

(٣) عند الآية (١٩).

(٤) عند الآية (٨٢).

(٥ ـ ٧) البغوى فى تفسيره (٧/ ٤١٨).

﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ﴾ أي إعادة الأرواح في الأشباح للبعث. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: « النَّشَاءَةَ » بفتح الشين والمد [(١)]؛ أي وعد ذلك ووعده صدق. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ قال ابن زيد: أغنى من شاء وأفقر من شاء ثم قرأ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقرأ ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] واختاره الطبري [(٢)]. وعن ابن زيد أيضا ومجاهد [(٣)] وقتادة والحسن ﴿أَغْنَىٰ﴾ مول ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أخدم. وقيل: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ جعل لكم قنية تقتنونها، وهو معنى أخدم أيضا. وقيل: معناه أرضى بما أعطى أي أغناه ثم رضاه بما أعطاه؛ قاله ابن عباس [(٤)].

وقال الجوهري: قَنِيَ الرجلُ يَقْنَى قِنىً؛ مثل غَنِيَ يَغْنَى غِنًى، وأقناه الله أي أعطاه الله ما يقتنى من القنية والنشب. وأقناه الله أيضا أي رضاه. والقنى الرضا، عن أبي زيد قال: وتقول العرب: من أعطي مائة من المعز فقد أعطي القنى، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطي المنى. ويقال: أغناه الله وأقناه أي أعطاه ما يسكن إليه. وقيل: ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه؛ قاله سليمان التيمي. وقال سفيان: أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا. وقال الأخفش: أقنى أفقر. قال ابن كيسان: أولد. وهذا راجع لما تقدم. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾﴿الشِّعْرَىٰ﴾ الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعريان العبور التي في الجوزاء والشِّعرى الغميصاء التي في الذراع؛ وتزعم العرب أنهما أختا سهيل. وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربا لغيره؛ لأن العرب كانت تعبده؛ فأعلمهم الله جل وعز أن الشِّعرى مربوب ليس برب. واختلف فيمن كان يعبده؛ فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة. وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله وخالف أديانهم؛ وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله ﷺ تمر عليه: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة [(٥)]. وقد كان من لا يعبد الشِّعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

---

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٥٨).

(٢) كذا عند الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٠).

(٣) ضعيف إلى مجاهد: في إسناده ليث بن أبي سليم: ضعيف. الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٠)، وهو صحيح إلى قتادة الحسن.

(٤) ضعيف إلى ابن عباس: الطبري (٢٧/ ٧٩) من طريق العوفيين.

(٥) جاء في الكافي الشافي (ص١٦١) قول الحافظ ابن حجر بعد أن ساق هذه الرواية فقال: « وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: أبو كبشة تشبيها له برجل من أشرافهم يقال له: أبو كبشة. وهذا وَهْمٌ، والمعروف أنهم كانوا يقولون له: ابن أبي كبشة كما في حديث أبي سفيان الطويل في الصحيحين حيث قال: « لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر » يعني هرقل ا. هـ.

مضَى أيْلُولُ وارتفعَ الحَرُورُ وأخْبَتْ نارَها الشِّعرى العَبُورُ

وقيل: إن العرب تقول في خرافاتها: إن سهيلا والشِّعرى كانا زوجين، فانحدر سهيل فصار يمانيا، فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور، وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها فسميت غميصاء لأنها أخفى من الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ﴾ سماها الأولى لأنهم كانوا من قبل ثمود. وقيل: إن ثمود من قبل عاد. وقال ابن زيد: قيل لها: عاد الأولى لأنها أول أمة أهلكت بعد نوح عليه السلام. وقال ابن إسحاق: هما عادان: فالأولى أهلكت بالريح الصرصر، ثم كانت الأخرى فأهلكت بالصيحة. وقيل: عاد الأولى هو عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وعاد الثانية من ولد عاد الأولى؛ والمعنى متقارب.

وقيل: إن عاد الآخرة الجبارون وهم قوم هود. وقراءة العامة ﴿عَادًا الأُولَىٰ﴾ ببيان التنوين والهمز. وقرأ نافع وابن محيصن وأبو عمرو «عاد الأولى» بنقل حركة الهمزة إلى اللام وإدغام التنوين فيها [1]، إلا أن قالون والسوسي يظهران الهمزة الساكنة. وقلبها الباقون واوا على أصلها؛ والعرب تقلب هذا القلب فتقول: قم الان عنا وضمَّ لثنين أي قم الآن وضم الاثنين. ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ ثمود هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة. قرئ: «ثَمُودًا» و ﴿وَثَمُودَ﴾ وقد تقدم. وانتصب على العطف على عاد. ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ وذلك لطول مدة نوح فيهم، حتى كان الرجل فيهم يأخذ بيد ابنه فينطلق إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وقال لي مثل ما قلت لك؛ فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصية أبيه.

وقيل: إن الكناية ترجع إلى كل من ذكر من عاد وثمود وقوم نوح؛ أي كانوا أكفر من مشركي العرب وأطغى. فيكون فيه تسلية وتعزية للنبي ﷺ؛ فكأنه يقول له: فاصبر أنت أيضا فالعاقبة الحميدة لك. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يعني مدائن قوم لوط عليه السلام ائتفكت بهم، أي انقلبت وصار عاليها سافلها. يقال: أفكته أي قلبته وصرفته. ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي خسف بهم بعد رفعها إلى السماء؛ رفعها جبريل ثم أهوى بها إلى الأرض. وقال المبرد: جعلها تهوي. ويقال: هَوَى بالفتح يَهْوِي هُوِيًا أي سقط و﴿أَهْوَىٰ﴾ أي أسقط. ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة؛ قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

وقيل: إن الكناية ترجع إلى جميع هذه الأمم؛ أي غشاها من العذاب ما غشاهم، وأبهم لأن كلا منهم أهلك بضرب غير ما أهلك به الآخر. وقيل: هذا تعظيم الأمر. ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي فبأي نعم ربك تشك. والمخاطبة للإنسان المكذب. والآلاء النعم واحدها أَلًى وإِلًى وإِلْي. وقرأ يعقوب «تمارى» بإدغام إحدى التاءين في الأخرى والتشديد.

---

(١) قراءة سبعية متواترة: الإقناع (٢/ ٧٧٥).

﴿ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ۝ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ﴾ قال ابن جريج ومحمد بن كعب: يريد أن محمدا ﷺ نذير بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله، فإن أطعتموه أفلحتم، وإلا حل بكم ما حل بمكذبي الرسل السالفة. وقال قتادة: يريد القرآن، وأنه نذير بما أنذرت به الكتب الأولى [١]. وقيل: أي هذا الذي أخبرنا به من أخبار الأمم الماضية الذين هلكوا تخويف لهذه الأمة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك من النذر أي مثل النذر؛ والنذر في قول العرب بمعنى الإنذار كالنكر بمعنى الإنكار؛ أي هذا إنذار لكم. وقال أبو مالك: هذا الذي أنذرتكم به من وقائع الأمم الخالية هو في صحف إبراهيم وموسى [٢]. وقال السدي: أخبرني أبو صالح قال: هذه الحروف التي ذكر الله تعالى من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ [النجم: ٣٧] إلى قوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ﴾ كل هذه في صحف إبراهيم وموسى.

قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ أي قربت الساعة ودنت القيامة. وسماها آزفة لقرب قيامها عنده؛ كما قال: ﴿يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٧] وقيل: سماها آزفة لدنوها من الناس وقربها منهم ليستعدوا لها؛ لأن كل ما هو آت قريب.

قال[النابغة]:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكَابَنَا ... لَمَّا تَزَلْ بِرِحالنا وكأنْ قَد

وفي الصحاح: أَزِفَ الترحل يَأْزَفُ أزَفًا أي دنا وأفد؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ يعني القيامة، وأزف الرجل أي عجل فهو آزف على فاعل، والمتآزف القصير وهو المتداني. قال أبو زيد: قلت لأعرابي: ما المحبنطئ؟ قال: المتكأكئ. قلت: ما المتكأكئ؟ قال: المتآزف. قلت: ما المتآزف؟ قال: أنت أحمق وتركني ومر. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي ليس لها من دون الله من يؤخرها أو يقدمها. وقيل: كاشفة أي انكشاف، أي لا يكشف عنها ولا يبديها إلا الله؛ فالكاشفة اسم بمعنى المصدر والهاء فيه كالهاء في العاقبة والعافية والداهية والباقية؛ كقولهم: ما لفلان من باقية أي من بقاء.

وقيل: أي لا أحد يرد ذلك؛ أي إن القيامة إذا قامت لا يكشفها أحد من آلهتهم ولا ينجيهم غير الله تعالى. وقد سميت القيامة غاشية، فإذا كانت غاشية كان ردها كشفا، فالكاشفة على هذا نعت مؤنث محذوف؛ أي نفس كاشفة أو فرقة كاشفة أو حال كاشفة. وقيل: إن ﴿كَاشِفَةٌ﴾ بمعنى كاشف والهاء للمبالغة مثل راوية وداهية.

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن. وهذا استفهام توبيخ ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيبا به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ انزجارا وخوفا من الوعيد. وروي أن النبي ﷺ ما رئي بعد نزول

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٧ / ٨٠) في تفسيره.
(٢) ضعيف: السابق (٢٧/ ٨٠)، وفيه ابن حميد وهو متهم بالكذب.

هذه الآية ضاحكا إلا تبسما (١). وقال أبو هريرة: لما نزلت: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ قال أهل الصفة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[البقرة]، ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبي ﷺ بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه؛ فقال النبي ﷺ: «لا يلج النَّارَ من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنةَ مُصِرٌّ على معصية الله ،ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم إنه هو الغفور الرحيم» (٢). وقال أبو حازم: نزل جبريل على النبي ﷺ وعنده رجل يبكي، فقال له: من هذا؟ قال: «هذا فلان »؛ فقال جبريل: إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله تعالى ليطفئ بالدمعة الواحدة بحورا من جهنم (٣). ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ أي لاهون معرضون، عن ابن عباس؛ رواه الوالبي والعوفي عنه (٤). وقال عكرمة (٥) عنه: هو الغناء بلغة حمير؛ يقال: سَمِّد لنا أي غن لنا، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا. وقال الضحاك: ﴿سَامِدُونَ﴾ شامخون متكبرون (٦). وفي الصحاح: سمد سمودا رفع رأسه تكبرا وكل رافع رأسه فهو سامد؛ قال[رؤبة]:

سَوَامِدُ اللَّيْلِ خِفَافُ الأَزْوَادْ

يقول: ليس في بطونها علف. وقال ابن الأعرابي: سَمَدَت سُمُودا علوت. وسَمَدَت الإبل في سيرها جدت. والسُّمُود اللهو، والسَّامِدُ اللاهي؛ يقال للقينه: أسمدينا؛ أي ألهينا بالغناء. وتسميد الأرض أن يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد. وتسميد الرأس استئصال شعره، لغة في التسبيد. واسمأد الرجل بالهمز اسمئدادا أي ورم غضبا. وروي عن علي رضي الله عنه أن معنى ﴿سَامِدُونَ﴾ أن يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلاة (٧). وقال الحسن: واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام؛ ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال: «مالي أراكم سامدين» حكاه الماوردي(٨). وذكره المهدوي عن علي،وأنه خرج إلى الصلاة فرأى الناس قياما ينتظرونه فقال: «مالكم سامدون» ؛ قاله المهدوي. والمعروف في اللغة: سَمَدَ يَسْمُدُ سُمُودا إذا لَهَا وأعرض. وقال المبرد: ﴿سَامِدُونَ﴾ خامدون؛ قال الشاعر:

أَتَى الحِدْثَانُ نسوةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدُورٍ سَمَدْنَ له سُمُوداً

وقال صالح أبو الخليل: لما قرأ النبي ﷺ: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾

---

(١) مرسل: عزاه السيوطي في الدر (٦/ ١٧٣) لابن أبي شيبة وأحمد وهناد في الزهد .

(٢) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا : البيهقي في الشعب (١/ ٤٨٩) وهو محمد بن يونس : متهم بالكذب وضاع .

(٣) مرسل وهو ضعيف جدًا، وانظر التالي .

(٤) منقطع من طريق الوالبي ،وضعيف من طريق العوفيين . الطبرى (٢٧/ ٨٥، ٨٦) في تفسيره .

(٥) صحيح إليه : الطبري (٢٧/ ٨٥) في تفسيره.

(٦) ضعيف : منقطع بين الضحاك وابن عباس . السابق (٢٧/ ٨٦) .

(٧) حسن : السابق (٢٧/ ٨٧) .

(٨) السابق (٢٧/ ٨٧)، وانظر: الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٤٠٧) .

وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١)﴾ لم ير ضاحكا إلا مبتسما حتى مات ﷺ [١] ذكره النحاس.

قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ قيل: المراد به سجود تلاوة القرآن. وهو قول ابن مسعود. وبه قال أبو حنيفة والشافعي. وقد تقدم أول السورة من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ سجد فيها وسجد معه المشركون [٢]. وقيل: إنما سجد معه المشركون لأنهم سمعوا أصوات الشياطين في أثناء قراءة رسول الله ﷺ عند قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٢٠] وأنه قال: تلك الغرانيق العلا وشفاعتهن ترتجى. كذا في رواية سعيد بن جبير: ترتجى. وفي رواية أبي العالية: وشفاعتهن ترتضى، ومثلهن لا ينسى. ففرح المشركون وظنوا أنه من قول محمد ﷺ على ما تقدم بيانه في «الحج» [٣]. فلما بلغ الخبر بالحبشة من كان بها من أصحاب النبي ﷺ رجعوا ظنا منهم أن أهل مكة آمنوا؛ فكان أهل مكة أشد عليهم وأخذوا في تعذيبهم إلى أن كشف الله عنهم [٤]. وقيل: المراد سجود الفرض في الصلاة وهو قول ابن عمر؛ كان لا يراها من عزائم السجود. وبه قال مالك. وروى أبي بن كعب رضي الله عنه: كان آخر فعل النبي ﷺ ترك السجود في المفصل. والأول أصح، وقد مضى القول فيه آخر «الأعراف» [٥] مبينا، والحمد لله رب العالمين.

تم تفسير سورة «النجم».

---

(١) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا: وقد سبق.

(٢) صحيح: وقد سبق في أول سورة.

(٣) عند الآية (٥٢).

(٤) **قلت**: وقصة الغرانيق هذه قصة منحولة مكذوبة، ولو صحت لصح قول الزنادقة بتسلط الشيطان على الأنبياء، وهو قول مخالف لصريح القرآن، وبذلك يثبت أن الشرع مزيج بين تنزيل الوحي، وتخليط الشيطان، وقد انتهت النبوة وختمت، وهو عين مراد الكفار والزنادقة.

والقصة منحولة مكذوبة، واهية الأسانيد.

وقال ابن كثير ـ رحمه الله في تفسيره (٥/ ٣٢٤): «رويت من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم».

وانظر للأهمية رسالة (نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق) للعلامة الألباني ـ رحمه الله ونسقها القاضي عياض في الشفا (٢/ ١١٦)، وضعف البزار حديثها، وذكرها القاضي ابن العربي المالكي وكذا نقل محمد بن إسحاق بن خزيمة، وانظر تفسير الألوسي وغيره لتبيان وضع هذه القصة.

(٥) عند الآية (١٠٦) من سورة الأعراف.